سلسلة كتيبات شبكة بينونة

الدروس المستفادة من حادثة الإفك

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

الدروس المستفادة
من
حادثة الإفك

الدروس المستفادة من

حادثة الإفك

الشيخ
إبراهيم بن عبد الله المزروعي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]،

أما بعد؛ فإنَّ أصدقَ الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد؛

فإننا نحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نعمة الإسلام، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة، محاضرةُ اليوم بعنوان: «**الدروس المستفادة من حادثة الإفك**»، حادثةُ الإفك أسبابها وما هي أسباب هذا الإفك المفترىٰ علىٰ الصديقة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من قبل المنافقين وبعض من غفل من المسلمين، لعل المطلع علىٰ النصوص الواردة في ذكر هذه الحادثة الأليمة لا يجد لها من سبب سوىٰ الحقد علىٰ الإسلام، ليس لها من غاية سوىٰ النيل من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفريق الناس عنه؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من معركة الأحزاب منتصرًا في نهاية السنة الخامسة من الهجرة،

وانتقل بذلك إلىٰ حالة الهجوم، يدل علىٰ ذلك قوله ﷺ بعد هذه المعركة: «**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**»[1]، ومن هذه الكلمات يتبين لنا أن النبي ﷺ اتخذ خطة جديدة مع أعداء الإسلام، وكان من هذه المعارك التي خاضها النبي ﷺ وخرج منها منتصرا غزوة بني المصطلق التي كانت رداً علىٰ الاعتداء الذي وقع منهم يوم أحد، حيث ساندوا جيش مشركي قريش آنذاك، فما أن رأىٰ المنافقون هذا الانتصار الكبير خرج جمع منهم، وبدؤوا يخططون ويكيدون لينالوا من هذا الانتصار، وينتقموا من صاحبه عليه أفضل الصلاة والسلام، فكان من مكايدهم ذلك الإفك الذي رموا به عائشة رضي الله عنها في طريق عودتهم من تلك الغزوة لهلال رمضان من سنة ست للهجرة،

(١) رواه البخاري (٤١١٠).

من خلال هذه المحاضرة سنذكر الآيات الواردة في حادثة الإفك، ونتكلم عن حادثة الإفك في الحديث النبوي الصحيح في هذه المقدمة، ثم نذكر موضوع المحاضرة ما هي الدروس المستفادة من حادثة الإفك؟

أما الآيات الواردة في حادثة الإفك فهي الآيات من الآية الحادية عشر إلى الآية السادسة والعشرين من سورة النور، وفي بدايتها يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور :١١-١٢] إلى آخر هذه الآيات التي في سورة النور، ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذه الحادثة في كتابه، فهي حادثة ثابتة متواترة لا يجوز الشك في ثبوتها، الله عَزَّوَجَلَّ

يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾، والإفك هو أبلغ ما يكون الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفاجئك، والإفك حديث اختلقه المنافقون وراج عند المنافقين ونفرٍ من المسلمين، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعة من أهل ملتكم ممن ينتمون إلى الإسلام ولو كان ظاهرا، والله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بل هو خير عظيم لكم لنيلكم الصبر عليه، نلتم الثواب العظيم ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض في هذا الإفك، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ قام بإشاعته بعد ابتدائه بالخوض فيه هو رأس المنافقين عبد الله ابن أبي بن سلول ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ عذابه في الآخرة إلى آخر هذه الآيات من سورة النور، أما الحديث في حادثة الإفك فترويه لنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نفسها، تروي هذه الحادثة الأليمة هذا

الابتلاء العظيم، وحديث الإفك حديث متفق عليه[٢]، ورواه أصحاب السنن، حديث طويل نذكره، ثم نتعرف على الدروس المستفادة من هذه الحادثة، عن عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: « **كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بيْنَ نِسَائِهِ، فأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهُ. قالَتْ عَائِشَةُ: فأَقْرَعَ بيْنَنَا في غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذلكَ بَعْدَ ما أُنْزِلَ الحِجَابُ، فأنَا أُحْمَلُ في هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فيه مَسِيرَنَا**- والهودج هذا الذي يوضع على ظهر البعير تبقى فيه النساء متسترات- **قالت: حتَّى إذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن غَزْوِهِ، وَقَفَلَ**- يعني رجع من غزوته- **قالت: وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بالرَّحِيلِ، فَمَشيتُ حتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ**-ابتعدت

(٢) البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

قليلا لتقضي حاجتها- قالت: لَمَّا قَضَيْتُ مِن شَأْنِي أَقْبَلْتُ إلى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِن جَزْعِ ظَفَارِ-هذا العقد من هذه المدينة ليس من الذهب ليس من الفضة وإنما من مادة ويصنع هذا في هذه المدينة- قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ -تأخرت عن العودة إلى مكانها- وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لي-الذين يحملون الهودج ويظنون أنها في الهودج- قالت: فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ علَى بَعِيرِيَ الذي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ. قالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إنَّما يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان عمرها قريبا من أربعة عشر عاما في هذا الوقت- قالت: فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ ما اسْتَمَرَّ الجَيْشُ-ذهب الناس

عنها ويظنون أنها في الهودج- قالت: فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ-لم تجد أحدا في المكان- قالت: فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الذي كُنْتُ فِيهِ-المكان الذي نزلت فيه- ظَنَنْتُ أَنَّ القَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِن وَرَاءِ الجَيْشِ-نزل آخر الليل ويمشي خلف الجيش- قالت: فَادَّلَجَ، فأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي-وصل إلى هذا المكان الذي فيه- قالت: فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ باسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ ما يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ منه كَلِمَةً غيرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ علَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بيَ الرَّاحِلَةَ، حتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ، بَعْدَ ما نَزَلُوا مُوغِرِينَ-الوغرة شدة

الحر- في نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَن هَلَكَ في شَأْنِي -تكلم من تكلم في عرضها- وَكانَ الذي تَوَلَّى كِبْرَهُ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا المَدِينَةَ شَهْرًا،-مرضت شهرا من قدومهم- وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الإفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بشيءٍ مِن ذلكَ- لا تعلم أن الناس يتكلمون عنها- وَهو يَرِيبُنِي في وَجَعِي أَنِّي لا أَعْرِفُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ، الذي كُنْتُ أَرَى منه حِينَ أَشْتَكِي، - آلمني في مرضي أنني لم أجد ذاك اللطف من رسول الله ﷺ حين أمرض- قالت: إنَّما يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيُسَلِّمُ، ثُمَّ يقولُ: كيفَ تِيكُمْ؟ فَذَاكَ يَرِيبُنِي-يعني يؤلمني- قالت وَلَا أَشْعُرُ بالشَّرِّ، حتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ ما نَقَهْتُ - خرجت من مرضها بعد أن نقهت أفاقت من مرضها وشفيت بإذن الله- قالت: وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ -المناصع مواضع يخلى فيها لقضاء الحاجة خارج

المدينة- وَهو مُتَبَرَّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إلى لَيْلٍ وَذلكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِن بُيُوتِنَا-قبل أن يتخذوا سواتر والأماكن المتخذة لقضاء الحاجة في البيوت- قالت: وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بالكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهي بنْتُ أَبِي رُهْمِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عبدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابنُهَا مِسْطَحُ بنُ أُثَاثَةَ بنِ عَبَّادِ بنِ المُطَّلِبِ، فأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ -هي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف-، قالت: قِبَلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَغْنَا مِن شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قدْ شَهِدَ بَدْرًا، قالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ، أَوْ لَمْ تَسْمَعِي ما قالَ؟-هنتاه أي هذه أي هذه، وقيل أي امرأة كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة لمكايد الناس- قلت: قُلتُ: وَمَاذَا قالَ؟ قالَتْ:

فأخْبَرَتْنِي بقَوْلِ أَهْلِ الإفْكِ-هنا علمت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما قيل عنها- في رواية: أن مسطحا وفلانا وفلانا يجتمعون في بيت عبد الله بن أبي يتحدثون عنك وعن صفوان يرمونك به، -قالت لها أم مسطح هذا الكلام- قالت: فَازْدَدْتُ مَرَضًا إلى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إلى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قالَ: كيفَ تِيكُمْ؟ قُلتُ: أَتَأْذَنُ لي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الخَبَرَ مِن قِبَلِهِمَا، فأذِنَ لي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلتُ لِأُمِّي: يا أُمَّتَاهْ ما يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقالَتْ: يا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللهِ لَقَلَّما كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قالَتْ قُلتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بهذا؟ قالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلكَ اللَّيْلَةَ حتَّى أَصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ-لا ينقطع لها دمع- قالت وَلَا أَكْتَحِلُ بنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بنَ أَبِي

طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ -طال لبس نزول الوحي فدعاهما رسول الله ﷺ- قالت: يَسْتَشِيرُهُما في فِرَاقِ أَهْلِهِ، قالَتْ فأَمَّا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ فأَشَارَ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بالَّذِي يَعْلَمُ مِن بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ في نَفْسِهِ لهمْ مِنَ الوُدِّ، فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وإنْ تَسْأَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقالَ: أَيْ بَرِيرَةُ هلْ رَأَيْتِ مِن شيءٍ يَرِيبُكِ مِن عَائِشَةَ؟ قالَتْ له بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ إنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِن أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عن عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ علَى المِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِن عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ -كما جاء في بعض الروايات وطلب من الصحابة العذر من عقوبة

عبد الله بن أبي بن سلول أي: بين إن عاقبه فهو معذور يعني اعذروني إذا عاقبت عبد الله ابن أبي سلول إذا كان كاذبا- قالَتْ: فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهو علَى المِنْبَرِ: يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ مَن يَعْذِرُنِي مِن رَجُلٍ قدْ بَلَغَ أَذَاهُ في أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ علَى أَهْلِي إلَّا خَيْرًا، وَلقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا ما عَلِمْتُ عليه إلَّا خَيْرًا، وَما كانَ يَدْخُلُ علَى أَهْلِي إلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ الأنْصَارِيُّ، فَقالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ منه، يا رَسُولَ اللهِ، إنْ كانَ مِنَ الأوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وإنْ كانَ مِن إخْوَانِنَا الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، -ثم قال بعد ذلك: قصة طويلة- تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَبَكَيْتُ يَومِي ذلكَ لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتي المُقْبِلَةَ لا يَرْقَأُ لي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَما هُما جَالِسَانِ عِندِي وَأَنَا أَبْكِي-كانت في بيت والديها وهما جالسان عندها وهي تبكي- تقول: اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ

مِنَ الأنْصَارِ، فأذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قالَتْ: فَبيْنَا نَحْنُ علَى ذلكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِندِي مُنْذُ قيلَ لي ما قيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لا يُوحَى إلَيْهِ في شَأْنِي بشيءٍ، قالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قالَ: أَمَّا بَعْدُ يا عَائِشَةُ، فإنَّه قدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فإنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ وإنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إلَيْهِ، فإنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَفَ بذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عليه قالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَقالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي -استمسك نزول الدمع فانقطع الدمع وهذه علامة من علامات بلوغ الحزن غايته- قالت: حتَّى ما أُحِسُّ منه قَطْرَةً، فَقُلتُ لأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيما قالَ فَقالَ: وَاللهِ ما أَدْرِي ما أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقالَتْ: وَاللهِ ما أَدْرِي ما أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ إِنِّي وَاللهِ لقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قدْ سَمِعْتُمْ بهذا حتَّى اسْتَقَرَّ في نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ به، فإنْ قُلتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لا تُصَدِّقُونِي بذلكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وإِنِّي، وَاللهِ ما أَجِدُ لي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كما قالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف :١٨]، قالت: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ على فِرَاشِي، قالَتْ: وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي ببَرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللهِ ما كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ في شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كانَ أَحْقَرَ في نَفْسِي مِن أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيَّ بأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بهَا، قالَتْ: فَوَاللهِ ما رَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِن أَهْلِ البَيْتِ أَحَدٌ حتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ على نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فأخَذَهُ ما كانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ عِنْدَ الوَحْيِ -شدة الكرب عند الوحي- حتَّى إنَّه لَيَتَحَدَّرُ منه مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ، في اليَومِ الشَّاتِ، مِن ثِقَلِ القَوْلِ الذي أُنْزِلَ عليه، قالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهو يَضْحَكُ، فَكانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بهَا أَنْ قالَ: أَبْشِرِي يا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فقَدْ بَرَّأَكِ فَقالَتْ لي أُمِّي: قُومِي إلَيْهِ، فَقُلتُ: وَاللهِ لا أَقُومُ إلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إلَّا اللهَ، هو الذي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قالَتْ: فأنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ منكم عَشْرَ آيَاتٍ فأنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ بَرَاءَتِي، قالَتْ: فَقالَ أَبُو بَكْرٍ وَكانَ يُنْفِقُ علَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ منه وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لا أُنْفِقُ عليه شيئًا أَبَدًا بَعْدَ الذي قالَ لِعَائِشَةَ فأنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور :٢٢]، فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّ أَنْ

يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتي كانَ يُنْفِقُ عليه، وَقالَ: لا أَنْزِعُهَا منه أَبَدًا. قالَتْ عَائِشَةُ: وَكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النبيِّ ﷺ عن أَمْرِي ما عَلِمْتِ؟ أَوْ ما رَأَيْتِ؟ فَقالَتْ: يا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ ما عَلِمْتُ إلَّا خَيْرًا. قالَتْ عَائِشَةُ: وَهي الَّتي كَانَتْ تُسَامِينِي -تعاديني وتطلب العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما اطلب- وَهي الَّتي كَانَتْ تُسَامِينِي مِن أَزْوَاجِ النبيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللهُ بالوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَن هَلَكَ» إلى آخر هذا الحديث الطويل، له روايات كثيرة في كتب الحديث وكتب السنة، قصة مؤلمة ابتلاء عظيم، استنبط العلماء دروسا، واستفادت هذه الأمة دروسا كثيرة من حادثة الإفك، نذكر بعضا من هذه الدروس في هذه المحاضرة:

الدرس الأول من الدروس: البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع، والتثبت من الأمر، هذا درس مهم يستفاد من حادثة الإفك، ففي هذه الحادثة نجد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعامل معها تعاملا دقيقا، واتخذ خطوات مدروسة في سبيل الكشف عن الحقيقة فيما يشاع ويذاع في أخطر قضية يتعرض لها البيت النبوي، البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع والتثبت هذه فائدة تستفيدها الأمة من هذه القصة ومن هذه الحادثة، ولذلك يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ شرح هذا الحديث: «**وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع، وتعرف صحته وفساده بالتنقيب علىٰ من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه، واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفا بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك**»[٣] ، هذه فائدة مهمة درس مهم، فمن

(٣) فتح الباري (٨/ ٤٨٠).

وقع له أو لأحد من أهله أو من معارفه مثل هذا الأمر وهذه التهمة الخطيرة، فيبحث عن هذا الأمر القبيح إذا أشيع وانتشر بين الناس، يتثبت ويسأل كما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك شهد الجميع لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالاستقامة والخلق والتقوىٰ، بعد أن سألهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سأل بريرة وسأل زينب وهكذا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحث عن هذا الأمر وأراد التثبت منه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ثم استشار أصحابه في فراقها، فأشار عليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحا، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها وألا يلتفت إلىٰ كلام الأعداء، فعلي لما رأىٰ أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة إلىٰ اليقين ليتخلص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس، فأشار بحسم الداء، وأسامة لما علم حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها ولأبيها وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها**

ما هي فوق ذلك وأعظم منه، وعرف من كرامة رسول الله ﷺ علىٰ ربه، ومنزلته عنده، ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته من النساء، وبنت صديقه بالمنزلة التي أنزلها به أرباب الإفك، وأن رسول الله ﷺ أكرم علىٰ ربه وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغيا، وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله ﷺ أكرم علىٰ ربها من أن يبتليها بالفاحشة، وهي تحت رسوله»(٤).

الدرس الثاني المستفاد من حادثة الإفك: من خلال ذكر هذه الحادثة و الحديث النبوي اطلعنا على هدي النبي ﷺ في معالجة هذه المشكلة الأسرية وخاصة إذا كان لها مساس بالعرض، ورأينا حكمة النبي ﷺ في معالجة مشكلة ليس لها من سبب سوى الحقد على الإسلام، ليس لها من غاية سوى

(٤) زاد المعاد (٣/ ٢٣٣).

النيل من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اتبع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في معالجتها أسلوب التروي عدم التعجل تحقيق الهادي، ليكون قراره في ذلك عادلا مع المحافظة التامة على كرامة زوجته من أن تخدش وكرامة أهلها من أن تمس، وتلك حكمةٌ بالغة من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في تعامله مع مثل هذه الأمور، هكذا كل مسلم حصل له مثل هذا الأمر مع أهله، يقتدي برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويفعل كما فعل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كيف تعامل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع هذا الحدث العظيم، فالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غير من أسلوبه في تعامله مع زوجه مما أشعرها بأن شيئا ما قد حدث لكنها لا تدري ما هو، تقول رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: قدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهرا والناس يفيض في قول أهل الإفك ولم أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، فتعامل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

هذا الموقف منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدل على حكمته البليغة في تعامله مع هذا الحادث الجلل، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعتزل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اعتزالا كليا؛ لأن الاعتزال عقوبة على مخالفة ولم تثبت أية مخالفة تستحق عليها الاعتزال والهجران، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعاملها بالطريقة التي كان يعاملها بها قبل شيوع حادثة الإفك ومقالة السوء ليشعرها بأن شيئا ما قد حدث يحتاج إلى تحقيق للكشف عن الحقيقة، هذا الموقف هو درس مهم يستفاد من هذه الحادثة، نتعلم من هذه الحادثة كيف نتعامل مع الأشخاص الذين يشاع عنهم شائعات الافتراء، يذاع عنهم كلمات الزور والبهتان، لابد من الحذر الشديد، عدم التسرع في إطلاق الأحكام، عدم اتخاذ المواقف المعادية من غير ما حجة واضحة أو دليل صحيح.

الدرس الثالث من الدروس المستفادة من حادثة الإفك: تأخر نزول الوحي فيه حكمٌ بالغة، لعل من أهم هذه الحكم أن الله عَزَّوَجَلَّ أراد أن يعلم الأمة من هذه الحادثة كيف يتعاملون مع مثل هذه الحوادث الحساسة، حفاظا علىٰ الأسرة المسلمة من التصدع والانهيار، ومن ثم حفاظا علىٰ المجتمع المسلم من أن تفتك به مثل هذه الإشاعات المغرضة لا سيما إذا تعلقت بالأعراض، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**واقتضىٰ تمام المحنة والابتلاء أن حبس عن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الوحي شهرا في شأنها ... وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولىٰ هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد علىٰ أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه بل يكون هو**

وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته»[٥]، إذا بعد التحقيق السري الهادي بعد توصله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أن هذا الاتهام لا يعدو أن يكون من الشائعات المغرضة، أتىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهله تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ثم أتاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في بيت أبوي، تقول: تشهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله عَزَّوَجَلَّ وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري ثم توبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الموقف يريد من عائشة جوابا قاطعا فيما اتهمت به فماذا كان جوابها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أجابت بأنها بريئة وأن الله سيبرؤها فنزلت برائتها في نفس المجلس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهذا درس مهم لهذه الأمة، لابد أن نتعامل مع مثل هذا الحوادث الحساسة

(٥) زاد المعاد (٣/ ٢٣٣-٢٣٤).

في المجتمع، نحافظ علىٰ الأسرة المسلمة من التصدع والانهيار وبذلك نحافظ علىٰ المجتمع من أن تؤثر فيه مثل هذه الشائعات المغرضة.

الدرس الرابع من الدروس المستفادة من هذه الحادثة: موقف أبوي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعنها، موقف أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما حدث لابنته الطاهرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم يخبرها بما حدث، تأثره الشديد وبكاؤه مع ابنته مما يدل على تعاطفه معها وعدم إيذائها اهتمامه بها، جلوسه عندها لا سيما عند اشتداد الأزمة في أيامها الأخيرة، تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وفي رواية: وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي، موقفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كأب تسليمه المطلق لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيمانه العميق بالوحي، فلما تكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عائشة: يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا إلى آخر

كلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت عائشة لأبيها: أجب عني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما قال، قال: ما أدري والله ما أقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقتنعا ببراءة ابنته، يدل على ذلك تعبيره عن حزنه البالغ لما حدث لابنته من اتهام، دفاعه عنا بقوله: فما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد الله لا ندع له شيئا فيقال لنا في الإسلام، من موقفه أيضا تثبته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأمور، هذا موقف أبي بكر الصديق، كذلك موقف أمها أم رومان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضا كان موقفا رائعا غير متعجل متسرع، بل يحمل في طياته موقف الأم التي عرفت منزلة ابنتها الصديقة وبرائتها وطهارتها فقالت لها بلهجة ملؤها الاطمئنان والثقة: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها، في موقف الوالدين مما حدث لابنتهما

درس تربوي بالغ الأهمية في كيفية التعامل مع قالة السوء، وإشاعة الزور والبهتان، فقد كان موقفا يتسم بالحكمة، لم يتسرعا في إصدار أي حكم على ابنتهما قبل ظهور الحجة واستكمال التحقيق، وهما في ذلك يقتديان برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعامله في هذه الحادثة، وفي طريقته في معالجة هذه الحادثة، هذا درس مهم يستفيده المسلمون.

الدرس الخامس من الدروس المستفادة من حادثة الإفك: نشهد في هذه الحادثة فضل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجة سيد الخلق وأحب الناس إليه حين أنزل الله عَزَّوَجَلَّ وحيه علىٰ رسوله الأمين بما لم يكن لأحد في الحسبان ولا وقع مثل قط في حادثة من الحوادث، أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل من هذه الحادثة خصيصة لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليرفع من شأنها، وهي أطهر الطاهرات الصديقة بنت الصديق زوج أحب خلق الله

إلىٰ الله، إظهارا لشرفها الذاتي والاجتماعي وبيانا لمكانتها في أهل البيت طهرا وفضلا وشرفا وثقلا في ميزان الفضائل، لمكانها من قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذلك من تشكك في برائتها بعد ذلك أو رماها بما رماها به بعد نزول الآيات في برائتها صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين، وقد نقل الإجماع علىٰ هذا الحكم غير واحد من الأئمة منهم السهيلي والنووي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والسيوطي وغيرهم، نقلوا الإجماع علىٰ أن من تشكك في براءة عائشة فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين، وقد كشفت هذه الحادثة أيضا في وقت مبكر كان عمرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قريبا من أربعة عشر عاما في سنة ستة للهجرة وهي تقول: وكنت جارية حديثة السن، كشفت الحادثة فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وما أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليها من علم غزير وفهم دقيق واستشهاد بالآيات في موقع الاستشهاد، وعمرها أربعة عشر عاما

تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتىٰ استقر في أنفسكم حتىٰ كنتم أن تصدقوا به، ولئن قلت لكم أني بريئة والله عَزَّوَجَلَّ يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، وإن اعترفت لكم بأمر والله عَزَّوَجَلَّ يعلم أني بريئة تصدقونني وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، فهذا يدل علم غزير واستشهاد بالآيات في موقع الاستشهاد، ولذلك قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث وما فيه من الفوائد: «**وجواز الاستشهاد بآي القرآن في النوازل والتأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم وفيه فضائل جمة لعائشة ولأبويها**»[٦].

الدرس السادس من الدروس المستفادة من هذه

(٦) فتح الباري (٨/ ٤٨١).

القصة هذه الحادثة حادثة الإفك: أيضا نجد في أثناء هذه القصة جانبا من جوانب حكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعامله مع الأمور، تدرجه في إيصال المعلومات، وذلك من خلال إبلاغ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا براءتها وتدرجه في ذلك، قال الحافظ ابن حجر: « **وفيه- حديث الإفك- تدريج من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم علىٰ قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه يؤخذ ذلك من ابتداء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ثم تلاوته الآيات علىٰ وجهها وقد نص الحكماء علىٰ أن من اشتد عليه العطش لا يمكن من المبالغة في الري في الماء لئلا يفضي به ذلك إلىٰ الهلكة بل يجرع قليلا قليلا**»[٧] ، إذا التعامل في مثل هذه الأمور ومثل هذه الأخبار السارة في البشرىٰ للمؤمن التدرج حتىٰ لا يتفاجأ ويصدم، من

(٧) فتح الباري (٨/ ٤٨١).

الناس من قلبه ضعيف لا يتحمل الفرح الكبير وهذا مجرب، لذلك لا بد من التدرج في مثل هذه الأمور.

الدرس السابع من الدروس المستفادة من هذه الحادثة في هذه الحادثة: تطبيق عملي لحد من حدود الله ألا وهو حد القذف، ومن ضمن هذه الآيات وفي سورة النور قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾[النور: ٤-٥]، يدل على ذلك ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما نزل عذري قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل من المنبر أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم، أقيم عليهم حد القذف، وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فحد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسطحا وحمنة وحسان، فهذه الأحاديث صريحة في إقامة الحد على هؤلاء المذكورين تطهرا

لما علق بهم من دون مقالة أهل الإفك، وهذا ذكره أهل العلم، وقال الحافظ ابن حجر: وهو الصحيح المعتمد.

أيضا من الدروس المستفادة من هذه حادثة الإفك: شاهدنا أثر النفاق السيء في حياة المسلمين، ودور المنافقين في زعزعة المجتمع الإسلامي عن طريق بث الأراجيف، وإشاعة الأكاذيب، واتهام البرءاء وزرع الشكوك، فهذا تستفيده هذه الأمة من الحذر من المنافقين ومن شائعاتهم التي تزعزع المجتمع الإسلامي.

الدرس التاسع من الدروس المستفادة أيضا من حادثة الإفك: درس أخلاقي، أدب اللسان صون اللسان من أن يتكلم بما لا يعنيه، أو أن يخوض فيما لا يعلمه، يدل على ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآيات في حادثة الإفك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور :١٥]،

قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية الخامسة عشر من سورة النور قال: «**وفي هذا من الأدب الأخلاقي أن المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحققه وإلا فهو أحد رجلين أفن الرأي يقول الشيء قبل أن يتبين له الأمر فيوشك أن يقول الكذب فيحسبه الناس كذابا، أو رجل مموه مراء يقول ما يعتقد خلافه قال تعالىٰ:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤] **وقال:** ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٣]»[٨].

من الدروس المستفادة من هذه الحادثة درسٌ إيماني اليقين من خلال موقف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل نزول براءتها عندما قالت: والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ والله المستعان استعانت بالله عَزَّوَجَلَّ، وعندها اليقين بأن

(٨) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٨).

الله عَزَّوَجَلَّ سيبرؤها بعد أن فاتحها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالأمر وأمرها بالاعتراف أجابته بما أجابته به، ثم استشهدت بهذه الآية التي تدل علىٰ عمق إيمانها بالله واستعانتها به، وموقفها الثاني بعد نزول برائتها وقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أبشري يا عائشة، أما الله عَزَّوَجَلَّ فقد برأك تقول قالت أمي: قومي إليه فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، قال ابن القيم: «**ومن تأمل قول الصديقة: ولا أحمد إلا الله، علم معرفتها وقوة إيمانها وتوليتها النعمة لربها وإفراده بالحمد في ذلك المقام، وتجريدها التوحيد، وقوة جأشها**»(٩).

الدرس الأخير من الدروس المستفادة من حادثة الإفك: نتعلم من حادثة الإفك عدة أحكام شرعية تتعلق بالمرأة المسلمة من هذه الأحكام: مشروعية القرعة بين النساء، إذا أراد الرجل المعدد السفر يقرع

(٩) زاد المعاد (٣/ ٢٣٦).

بين نسائه، كذلك مشروعية السفر بالنساء مع المحارم حتى في الغزو، قول عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج بها سهمي فخرجت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أيضا من المسائل والأحكام الشرعية التي تتعلق بالمرأة المسلمة: جواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن بدليل ركوبها في الهودج، كذلك توجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها بل اعتمادا على الإذن العام المستند إلى العرف العام بدليل قولها: فقمت حين آذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل، أيضا من الأحكام الشرعية تتعلق بالنساء: جواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها قالت عائشة: لمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع، أيضا من المسائل والأحكام التي تهم المرأة المسلمة يؤخذ من هذا الحديث: صيانة المال ولو قل للنهي

عن إضاعة المال فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر ومع ذلك رجعت إلى المكان الذي كانت فيه أولا وقد حبسها ابتغاؤه فتأخرت عن الجيش، وحصل لها ما حصل، أيضا مشروعية تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فخمرت وجهي بجلبابي، عن نظر الأجنبي وهنا هو صحابي جليل صفوان ابن معطل الذي وجدها، أيضا يؤخذ من الحديث: حديث حسن الأدب مع الأجانب خصوصا النساء المشي أمام المرأة ليستقر خاطرها تأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها، يدل على ذلك قول عائشة وهي تتحدث عن الصحابي الجليل صفوان قالت: فوالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منها كلمة غير استرجاع حتى أناخ راحلته فوطئ على يده ليكون سهلا لركوبها لا يحتاج إلى مسها قالت: فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة، حسن الأدب من هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حسن

التعامل مع المرأة المسلمة، أيضا يؤخذ من الحديث: أن المرأة إذا خرجت لحاجة فالأفضل أن تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها، ولذلك قالت: واصطحبت أم مسطح، يؤخذ من الحديث أيضا: توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها ولو كان الخروج إلى بيت أبويها، دل ذلك قول عائشة: لما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال كيف تيكم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي، فأذن لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه بعض المسائل والأحكام أيضا تتعلق بما يستفاد من هذه الحادثة عشنا ما هذه القصة الأليمة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يفقهنا وإياكم في دينه، كما نسأله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وفتنة، نسأله عَزَّوَجَلَّ أن يوفق ولاة أمورنا لما يحبه ويرضاه وأن يرزقه البطانة الصالحة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

حسنة وقنا عذاب النار.

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية